

الفصل الرابع

الحقوق المتبادلة بين الراعي والرعية في كتاب أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- إلى
الأشتر النخعي لما ولاه مصر

obeikandi.com

الفصل الرابع

الحقوق المتبادلة بين الراعي والرعية في كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- إلى الأستر النخعي لما ولاه مصر

تمهيد

١- نشرت منذ حوالي عشر سنين دراسة عن الصحيفة أو دستور المدينة في مجلة الجمعية المصرية للقانون الدولي ، بعد أن تحدثت عنها في محاضرة عامة ألقيتها بهذه الجمعية، وقدمها وعلق عليها المغفور له بإذن الله الدكتور محمد طلعت الغنيمي، كانت لغة الصحيفة تختلف عن اللغة التي نستخدمها اليوم في كتاباتنا القانونية؛ لأنها كتبت منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة ، إذ إن الوثيقة المذكورة أعلنتها الرسول عليه الصلاة والسلام في تأسيسه لدولة المدينة في العام الأول للهجرة. وكانت هذه الوثيقة كما وصفها بعض المستشرقين أمراً مهماً أو " لقيه " على حد تعبيره. فلم يكن لأحد أن يتوقع أن يجد وثيقة ثلثت في منزل يهودية هي -دمنة بنت الحارث - وشهدتها ووافق عليها أهل المدينة بمختلف بطونهم وطوائفهم من يهود ووثنيين ثم مهاجرين وأنصار.

٢- وكان البعد السياسي المهم في الوثيقة هو التنبه إلى فن إنشاء المجتمع السياسي الذي يقوم على توحيد شعب ذي ديانات وأصول مختلفة في ظل دولة عقائدية هي الدولة الإسلامية وأن يكون الأساس الذي يجمع هذا الشعب، هو الموافقة على " دستور " يعطي الحقوق ويفرض الواجبات ، ويحدد العلاقات بين السكان وما يجب أن تكون عليه وكذلك يحدد العلاقة بين أصدقاء الدولة وأعدائها في عمل قانوني غير مسبوق على حد علمي.

وكنت آمل أن أستمّر في نشر وثائق من نفس الأهمية بعد دراستها والتعليق عليها وتحديد الأبعاد القانونية فيها وتقريبها من اللغة القانونية المستخدمة في الوقت الحاضر.

٣- وقد كان السبب الرئيسي في عقد ندوة عن حقوق الإنسان في الإسلام في مدينة الرياض هو إظهار مبادئ ومفاهيم الإسلام المحبوبة في الوثائق لأسباب عديدة هي:

أ- إن هذه الوثائق ذات أهمية فائقة في تحديد رؤية المسلمين لحقوق وواجبات المواطن في الدولة الإسلامية سواء أكان مسلماً أم غير مسلم.

ب- إن هذه الوثائق لم تزل حظها في الدراسات العديدة التي تمت حول الإسلام وشريعته ومصادرها ونظرته للإنسان وحفظه لكرامته.

ج- إن هذه الوثائق تكشف عن رؤية صائبة ويُعد رأي ونفاذ بصيرة لدى المسلمين وقادتهم ، وتمثل سبقاً في تناول قضايا وموضوعات لم يقم به غير المسلمين إلا بعد سنوات أو قرون عديدة.

د- إن قضايا حقوق الإنسان وحرياته قد تم تناولها في السنوات الأخيرة بشكل مكثف وتم مناقشة الوثائق الدولية الحديثة فيها ومقارنتها بمبادئ الإسلام في هذا الخصوص ، لكن الوثائق التي صدرت عن الدولة الإسلامية وحكامها وحكمانها وقادتها لم يتم تناولها بالشكل المطلوب.

لذا سيكون أحد المحاور المهمة لهذه الدراسة هو تناول وثائق متصلة اتصالاً وثيقاً بحقوق الإنسان وحرياته وبما تم التعبير عنها بلغة مختلفة.

وفي إطار يتناسب مع حقائق الإسلام ، ودور العقيدة الإسلامية في صياغة مختلف الأحكام التشريعية والدستورية والقانونية بشكل عام.

٤- ويهمني أن أتناول إحدى الوثائق المهمة الآن ، هي هذا الكتاب المهم الذي وجهه الإمام علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- إلى واليه علي مصر الأشتر النخعي ، بعد أن اضطرت الأحوال في عهد الوالي السابق محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ، إن الكتاب يمثل وثيقة مهمة من وثائق الدولة الإسلامية، ويضع أسساً يجب على الحكام جميعهم أن يراعوها في علاقاتهم بالشعب الذي يحكمونه، وقد اهتم الإمام محمد عبده بهذا الكتاب ووجد أنه يستحق الشرح والتوضيح، كما أن الشيخ أحمد محمد أحد الكتاب الذين عملوا في مكتبة الأزهر قد تنبه إلى أهميته فأخرجه من كتاب مطول لكي يسهل تداوله ويقبل العلماء على دراسته وتناوله، ويسعدني أن أوضح الأبعاد المتصلة بحقوق الإنسان وحرياته في هذا الكتاب.

* وقبل قيامي بهذا التناول يسعدني أن أوضح الحقائق التالية:

١- إن روح العقيدة الإسلامية والتي تتجلى في وجوب التقرب من الله ، وجعل كل ما يفعله الإنسان المؤمن من خير يتغني به ثواب الله وافتقار عذابه ، واضحة تمام الوضوح في هذه الوثيقة وهو بعد لا نجد في الوثائق الحديثة التي تناولت حقوق الإنسان وحرياته.

وهي وثائق الأساس الأول فيها هو الفصل بين الأحكام القانونية والدستورية وبين أحكام الدين والعقيدة، أي الأساس العلماني.

٢- إن هناك العديد من الحقوق التي لا نجد لها في المفاهيم التقليدية لنظرية الحقوق والحريات العامة بالمفاهيم الغربية. وهذه مسألة مهمة يجب أن نتنبه إليها من الآن، فلا شك أن صياغة الحقوق بالمفاهيم الغربية الحديثة يختلف عن الصياغة التي تولاهها فقهاء المسلمين ، وهنا فإنه يمكننا دائماً أن نستدعي الصياغات الإسلامية للحقوق والحريات، ونوطن أنفسنا على استخدامها، كما أننا يمكن أن نتحدث عن حقوق وردت في الوثائق الإسلامية لا نجد لها في المواثيق الحديثة.

٣- إن هذا الكتاب يركز على الحقوق السياسية، وبالذات على تلك الحقوق التي يجب أن يراعيها الحاكم في تعامله مع المحكومين، ومن هنا فإننا نقول: إن الحكم بالتشريعات التي أنزلها الله على رسوله أحد حقوق الإنسان، ورد المشكلات التي تواجه الحاكم ولا يجد لها حكماً صريحاً في كتاب أو سنة إلى الله هو حق من حقوق الإنسان، بل إن تطبيق شريعة الله في الأرض هي أول وأهم حقوق الإنسان؛ لأنها تخرج الناس من عبادة الإنسان إلى عبادة الله، وتحقق لأقصى قدر من السمو الخلقي في تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان.

كذلك تحتّم هذه الوثيقة اهتماماً بالغاً بتبنيه الحاكم إلى ضرورة تقوى الله ، بما يحمله هذا المعنى من الخوف من الله ومراعاة ما يجب علينا من أمور في تعاملنا مع بعضنا البعض ، ويسود في الوثيقة ضرورة تحقيق العدالة والإنصاف في المجتمع الإسلامي وهو في تقديري من أهم حقوق الإنسان التي ربما لا نجد تعبيراً مباشراً عنها في الوثائق الحديثة، ونظراً للطابع السياسي لهذه الوثيقة ولأنها صدرت في وقت اضطرت فيه الأمور وكان المسلمون يعيشون في ظل الفتنة الكبرى عقب مقتل عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، والتنازع على الخلافة بين الإمام علي -كرم الله وجهه- ، ومعاوية بن أبي سفيان ، فنجد اهتماماً واضحاً بالشروط الواجب توافرها فيمن يتولى أمر المسلمين ، وبالواجبات المتبادلة بين الراعي والرعية وبالأسلوب الذي يجب أن يتم التعامل به مع العمال والزراع وأصحاب الحرف.

كذلك تعتبر من حقوق الإنسان اختبار الأصلح لحكمهم ، ومن حقوقهم أيضاً أن يكون أخذ حقوق الدولة وفقاً للشرع الإسلامي مع الترفق بضعفهم ، وعدم إرهاب أحد في تحصيل الزكاة أو الخراج.

وهكذا نمضي في تتبع الحقوق والواجبات التي تحويها هذه الوثيقة المهمة من وثائق الدولة الإسلامية. ونبدأ بعرض نص الوثيقة وشرح الإمام محمد عبده لها ، ثم نتناول بالتفصيل مبادئ حقوق الإنسان التي وردت فيها.

نص الوثيقة

* مقدمة

مقتبس السياسة وسياسج الرياسة:

كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه ورضي عنه- إلى الأشر النخعي لما ولاه على مصر حين اضطرب محمد بن أبي بكر وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن.

شرح ألفاظه اللغوية حضرة صاحب الفضيلة العالم الكامل الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتي أفندي الديار المصرية شرحاً غايةً في الإيجاز والإفادة وقد أذن حفظه الله بطبعه.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشر في عهده إليه حين ولاه مصر جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها.

أمره بتقوى الله وإيثار طاعته وإتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يهنا مع جحودها وإضاعته، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه.

وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها^(١) عند الجمحات فإن النفس أمانة بالسوء إلا من رحم الله، ثم أعلم يا مالك أبي قد وجهتك إلا بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدلٍ وجور وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وإنما يستدل على الصالحين بما يجزي الله لهم على السن عباده فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح.

(١) ويزعها أي يكفها عن مطامعها إذا جمحت عليه فلم تنقد لقائد العقل الصحيح والشرع الصريح

فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك^(١) فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت وأشعر قلبك الرحمة للبرية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكون عليهم سباً ضارياً تغتم أكلهم فأثم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل^(٢) وتعرض لهم العلل ويؤتى^(٣) على أيديهم في العمد والخطأ فاعطهم من عفوك وصفحك الذي تحب أن يعطيك الله فوق من ولاك وقد استكفأك أمرهم^(٤) وابتلاك بهم ولا تصب نفسك لحرب الله فإنه لا يدري لكونه لا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفوه ولا تبجحن بعقوبة^(٥) ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة ولا تقولن إني مؤمر آمر فأطاع^(٦) فإن ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير. وإذا حدث لك ما أنت فيه من سلطانك أجه أو محيلة^(٧) فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يظامن إليك من طماجك^(٨) ويكف عنك من غربك ويقيء إليك بما عزب عنك من عقلك إياك ومساماة الله في عظمته^(٩) والتشبه به في جبروته فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال، أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعبتك ، فإنك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عبادته ومن خصمه الله أدحض حجته^(١٠) وكان الله حرباً حتى ينزع و يتوب، وليس شيء أدمى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من ظل على ظلمه فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد. وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في

(١١٧) شح انجمل بنفسك عن الوقوع في غير الحل فليس الحرص على النفس إبقاءها كل ما تحب، بل من الحرص عليها أن تحمل على ما تكره إن كان ذلك في الحق قرب محبوب يعقب هلاكاً ومكروه يحمده عاقبة.

(١١٨) يفرط: يسبق والزلل الخطأ.

(١١٩) يؤتى مبنى للمجهول نائب فاعله على أيديهم وأصله تؤتى السيئات على أيديهم إلخ.

(١٢٠) أراد بحرب الله: مخالفة شريعته بالظلم والجور ولا يدي لك بنقمة أي ليس لك يدان تدفع نقمته أي لا طاقة لك بها.

(١٢١) بجح به: أي فرح به لفظاً ومعنى والبادرة ما ييدر من الحدة عند الغضب في قول أو فعل والمندوحة المتسع أي المخلص.

(١٢٢) مؤمر: كمعظم أي مسلط ، والإدغال أي إدخال الفساد ، ومنهكة أي مضعفة فمكة أي أضعفه ، والغتر بكسر ففتح حادثات الدهر بتبدل الدول. والاعتزاز بالسلطة تقرب منها أي تعرض للوقوع فيها.

(١٢٣) الأجه: بضم الهزة وبشديد الباء مفتوحة العظمة والكبرياء والمخيلة بفتح فكسر الخيلاء والعجب.

(١٢٤) الطماج: ككتاب النشوز والجماح ويظامن أي يخفض منه والغرب بفتح فسكون الحدة ويقيء يرجع إليك بما عزب أي غاب من عقلك.

(٦) المساماة: المباراة في السمو أي العلو.

(٧) من لك فيه هوى: أي لك إليه ميل خاص.

العدل وأجمعها لرضي الرعية فإن سخط العامة يححف برضى الخاصة وإن سخط الخاصة^(٨) يفتقر مع رضى العامة وليس أحد من الرعية أنقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره.

للإنصاف وأسأل بالإخفاف^(٩) وأقل شكراً عند الإعطاء وأبطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملومات الدهر من أهل الخاصة^(١٠) وإنما عماد الدين وجماع المسلمين^(١١) والعدة للأعداء العامة من الأعداء العامة من الأمة فليكن صفوك لهم وميلك معهم. ليكن أبعد رعيك منك وأشأنهم عندك أطلبهم لمعائب الناس^(١٢) فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها^(١٣) فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيك، أطلق عن الناس عقدة كل حق^(١٤) واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل مالا يصح لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساع فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين، ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل^(١٥) ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشر بالجور، فإن البخل والجبن والحرص من غرائز شتى^(١٦) يجمعها سوء الظن بالله.

إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة^(١٧) فإحجم أعوان الأثمة وإخوان الظلمة وأنت وأجد منهم خير الخلف^(١٨) ممن له مثل آرائهم ونفادهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم^(١٩) ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً

١٨حـص: أبطل وحرماً أي محارباً وينزع كيضرب أي يقلع عن ظلمه يححف أي يذهب برضى الخاصة فلا ينفع الثاني معه أما لو أسخط الخاصة ورضى العامة فلا أثر لسخط الخاصة فهو مغتفر.

٩ الإخفاف: الإلحاح والشدّة في السؤال.

١٠ من أهل الخاصة متعلق بانقل وما بعده من أفاعل التفضيل.

١١ جماع الشيء بالكسر جمعه أي جماعة الإسلام. والعامة خير عماد وما بعده.

(١) أشأنهم: أغضبهم والأطلب للمعائب الأشد طلباً لها.

(٢) ستر فعل ماض صلة من أي أحق الساترين لها بالستر.

(٣) أي أحل لعقد الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم واقطع عنك أسباب الأوتار أي العداوات بترك الإساءة إلى الرعية والوتر بالكسر العداوة وتغاب أي تغافل والساعي هو النمام بمعائب الناس.

(٤) الفضل هنا الإحسان بالبدل ويعدك بخوفك من الفقر لو بذلت والشر هو بالتحريك أشد الحرص.

(٥) غرائز طبائع مشرقة تجتمع في سوء الظن بكرم الله وفضله.

(٦) بطانة الرجل بالكسر خاصته وهو من بطانة الثوب خلاف ظهرته والأثمة جمع آثم فاعل الإثم أي الذنب والظلمة جمع ظالم.

(٧) منهم متعلق بالخلف أو متعلق بواجب ومن مستعملة في المعنى الاسمي بمعنى بدل.

(٨) الآصار جمع إصر بالكسر وهو الذنب والآثم وكذلك الأوزار.

على إثم أولئك أخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفاً وأقل لغريك ألفاً^(٩) فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك^(١٠) وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً من هواك حيث وقع^(١١) وألصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ألا يطروك^(١٢) ولا يجحوك بباطل لم تفعله فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة.

ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة والزم كلا منهم ما ألزم نفسه^(١٣).

واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم^(١٤) وتخفيفه المؤونات عنهم وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم^(١٥) فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيته، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً^(١٦) وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده^(١٧).

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية، ولا تُحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقضت منها وأكثر مدارس العلماء ومناقشة الحكماء^(١٨) في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله.

(٩) الألف بالكسر الألفة والمحبة.

(١٠) ليكن أفضلهم لديك أكثرهم قولاً بالحق المر ومرارة الحق صعوبته على نفس الوالي.

(١١) واقعاً حال مما كره الله أي لا يساعدك على ما كره الله حال كونه نازلاً من ملك إليه أي منزلة أي وإن كان من أشد مرغوباتك.

(١٢) رضهم أي عودهم على ألا يطروك أي يزيدوا في مدحك ولا يجحوك أي يفرحوك بنسبة عمل عظيم إليك ولم تكن فعلته والزهو بالفتح العجب وتدني أي تقرب من العزة أي الكبر.

(١٣) فإن المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب والمحسن ألزم استحقاق الكرامة.

(١٤) إذا أحسن الوالي إلى رعيته وثق من قلوبهم بالطاعة له فإن الإحسان قياد الإنسان فيحسن ظنه بهم بخلاف ما لو أساء إليهم فإن الإساءة تحدث العداوة في نفوسهم فيتهزون الفرصة لعصيانه فيسوء ظنه بهم.

(١٥) قبلهم بكسر ففتح أي عندهم.

(١٦) النصب بالتحريك التعب.

(١٧) البلاء هنا الصنع مطلقاً حسناً أو سيئاً وتفسر العبارة واضح مما قدمنا.

(١٨) المناقشة المخادنة.

ومنها كتاب العامة والخاصة^(٧) ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الدمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكألاً قد سمي الله سهمه^(٨) ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبية صلى الله عليه وآله عهداً منه عندنا محفوظاً.

فالجنود ياذن الله حصون الرعية وزين الولاية وعز الدين وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم^(٩). ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاهد^(٤) ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها، ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم^(٥) ويقيمونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم.

ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفقهم ومعوتهم^(١) وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل، فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك وأنقاهم جيئاً^(٢) وأفضلهم حلاًماً ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر ويرؤف بالضعفاء وينبو على الأقوياء^(٣) ومن لا يثبته

(٧) كتاب كرمات جمع كتاب والكتب منهم عاملون للعامة كالخامسين والمحررين في المعتاد من شؤون العامة كالخراج والمظالم ومنهم محتصون بالحاكم يفضي إليهم بأسراره ويوليهم النظر فيما يكتب لأوليائه وأعدائه وما يقرر في شؤون حربه وملمه مثلاً.

(٨) سهمه: نصيبه من الحق.

(٩) أي يكون محيطاً بجميع حاجاتهم دافعاً لها.

(١) هو وما بعده نشر على ترتيب اللف. والمعاهد العقود في البيع والشراء وما شابهها مما هو من شأن القضاة. وجمع المنافع من حفظ الأمن وجباية الخراج وتصريف الناس في منافعهم العامة ذلك شأن العمال والمؤتمنون هم الكتاب.

(٢) الضمر للتجار وذوي الصناعات أي أنهم قوام لمن قبلهم بسبب المرافق أي المنافع التي يجتمعون لأجلها ولها يقيمون الأسواق. ويكفون سائر الطبقات من الترفق أي التكسب بأيديهم ما لا يبلغه كسب غيرهم من سائر الطبقات.

(٣) رفقهم مساعدتهم وصلتهم.

(٤) جيب التمييز طوقه ويقال نقي الجيب أي طاهر الصدر والقلب والحلم والعقل.

(٥) ينبو يشند وعلو عليهم ليكف أيديهم عن ظلم الضعفاء.

العنف ولا يقعد به الضعف. ثم الصق بذوي الأحساب^(٤) وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ولا يتفاقم في نفسك شيء قويتهم به^(٥) ولا تحقرن لطفاً تعاهدتم به^(٦) وإن قل فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكلاً على جسيمها فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفون به وللجسيم موضعاً لا يستغنون عنه.

وليكن أثر رؤوس جنديك عندك^(٧) من وإساهم في معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم، ويسع من ورائهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم همماً واحداً في جهاد العدو فإن عطفك عليهم^(٨) يعطف قلوبهم عليك وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم^(٩) وقلة استئصال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم وتعدد ما أبلى ذوو البلاء منهم^(١٠) فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تخر الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله، ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى ولا

(٦) ثم الصق الخ تبين للقبيل الذي يؤخذ منه الجند ويكون منه رؤساؤه وشرح لأوصافهم وجماع من الكرم مجموع منه. وشعب بضم ففتح جمع شعبة. والعرف المعروف.

(٧) تفاقم الأمر عظم أي لا تعد شيئاً قويتهم به غاية في العظم زائداً عما يستحقون فكل شيء قويتهم به واجب عليك إتيانه وهم مستحقون ليله.

(٨) أي لا تعد شيئاً من تطفك معهم حقيراً فتركه لحقارته بل كل تطف وإن كل فله موقع من قلوبهم.

(٩) أثر أي أفضل وأعلى منزلة. فليكن أفضل رؤساء الجند من وإسى الجند أي ساعدتهم بمعونته لهم. وأفضل عليهم أفاض وجاهد من جدته. والجدة بكسر الفتح الغني والمراد ما بيده من أرزاق الجند وما سلم إليه من وظائف المجاهدين لا يقتر عليهم في الفرض ولا ينقصهم شيئاً مما فرض لهم بل يجعل العطاء شاملاً لمن تركوهم في الديار من خلوف الأملين جمع خلف بفتح فسكون من يبقى في الحي من النساء والعجزة بعد سفر الرجال.

(١٠) عليهم أي على الرؤساء.

(١١) حيلة بكسر الحاء من مصادر حاظه بمعنى حفظه وصانته أي بمحافظتهم على ولاة أمورهم وحرصهم على بقائهم وأن لا يستقلوا دولتهم ولا يستبطنوا انقطاع مدتهم بل يعدون زمنهم قصيراً يطلبون طولته.

(١٢) ما صنع أهل الأعمال العظيمة منهم. فتعدد ذلك يهز الشجاع أي يحركه للإقدام ويعرض الناكل أي المتأخر القاعد.

تضيفن بلاء امرئ إلى غيره^(٤) ولا تقصرون به دون غاية بلائته ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تستصغر من بلائته ما كان عظيماً.

واردد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب^(٥) ويشتبه عليك من الأمور فقد قال تعالى لقوم أحب إرشادهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) فالرد إلى الله الأخذ بمحكم^(٦) كتابه والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة^(٧). ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك^(٨) في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم^(٩) ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفياء إلى الحق إذا عرفه^(١٠) ولا تشرف نفسه على طمع^(١١) ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه^(١٢) أوقفهم في الشبهات^(١٣) وآخذهم بالحجج وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشف الأمور وأصبرهم عند اتضاح الحكم ممن لا...،،،

يزدهيه إطراء^(١) ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل. ثم أكثر تعاهد قضائه^(٢) وأفسح له في البذل ما يزيل علته^(٣) وتقل معه حاجته إلى الناس وأعطه من المنزلة

(٥) لا تسب عمل امرئ إلى غيره ولا تقصر به في الجزاء دون ما يبلغ منتهى عمله الجميل.

(٦) ضلع فلاناً كمنع ضربه في ضلعه والمراد ما يشكل عليه.

(٧) محكم الكتاب نصه الصريح.

(٨) سنة الرسول كلها جامعة ولكن رويت عنه سنن اختلفت بها الآراء فإذا أخذت فخذ بما أجمع عليه مما لا يختلف في نسبه إليه.

(٩) ثم اختر إلى انتقال من الكلام في الجند إلى الكلام في القضاة.

(١٠) أمحكك جعله محكاً أي عسر الخلق أو أغضبه أي لا عمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والإصرار على رأيه والزلة بالفتح السقطة في الخطأ.

(١١) حصر كفرح ضاق صدره أي لا يصيق صدره من الرجوع إلى الحق.

(١٢) الإشراف على الشيء الإطلاع عليه من فوق فالطمع من سافلات الأمور من نظر إليه وهو في أعلى منزلة النزاهة لحقته وصمة النقيصة فما ظنك بمن هبط إليه وتناوله.

(١٣) لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم وأقر به دون أن يأتي على أقصى التفهم بعد التأمل.

(١٤) هذا وما بعده إتيان لأفضل رعيتك. والشبهات مالا يتضح الحكم فيها بالنص فيبغى الوقوف عن القضاء حتى يرد الحادثة إلى أصل صحيح والتبرم الملل والضجر. وأصرهم أقطعهم للخصومة.

(١) لا يزدهيه: لا يستخفه زيادة في البناء عليه.

(٢) تعاهده تبعه بالاستكشاف والتعرف و ضمير قضائه لأفضل الرعية الموصوف بالأوصاف السابقة.

(٣) البذل والعطاء أي أوسع له حتى يكون ما يأخذه كافياً لمعيشة مثله وحفظ منزلته.

لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك^(٤) ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً، بليغاً فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه باهوى. ويطلب به الدنيا.

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً^(٥) ولا تولم محياة وأثره فإنها جماع من شعب الجور والخيانة وتتوخ منهم أهل التجربة والحياء^(٦) من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً وأقل في المطامع إشرافاً وأبلغ في عواقب الأمور نظراً، ثم أسبغ عليهم الأرزاق^(٧).

فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحنة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك^(٨) ثم تفقد أعمالهم وبعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم^(٩) فإن تعاهدك في السر لأموهم حدودهم لهم^(١٠) على استعمال الأمانة والرفق بالرعية. وتحفظ من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك^(١١) اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المدلة ووسمته بالخيانة وفلذته عار التهمة.

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، ولكن نظرك في عمارة الأرض وأبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب

(٤) إذا رفعت منزله عندك هابته الخاصة كما تهابه العامة فلا يجزؤ أحد على الوشاية به عندك خوفاً منك وإجلالاً لمن اجتلتته.

(٥) ولهم الأعمال بالامتحان لا محابة أي اختصاصاً وميلاً منك

(٦) توخ أي اطلب وتحر أهل التجربة الخ والمقدم بالتحريك واحدة الأقدام أي الخطوة السابقة وأهلها هم الأولون.

(٧) أسبغ عليه الرزق أكمله وأوسع له فيه.

(٨) نقصوا في أدايتها وخانوا.

(٩) العيون الرقباء.

(١٠) حدود أي سوق لهم وحث.

(١١) اجتمعت الخ أي اتفقت عليها أخبار الرقباء.

الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً فإن شكوا ثقيلاً^(١) أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق وأجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم. ولا يثقلن عليك شيء خففت به المتونة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم^(٢) معتمداً أفضل قوتهم^(٣) بما ذخرت عندهم من أجمالك لهم والثقة منهم بما عوتهم من عدلك في رفقتك بهم، فرما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوهم طيبة أنفسهم به^(٤) فإن العمران محتمل ما حملته وإنما يؤتي خراب الأرض من أعواز أهلها وإنما يعوز أهلها الإشراف أنفس الولاية على الجمع^(٥) وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالخير. ثم انظر في حال كتابك^(٦) قول على أمورك خيرهم وأخص رسائلك التي تدخل فيها مكائلك وأسراك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق^(٧) ممن لا تبطره الكرامة فيجتري بما عليك في خلاف لك بحضرة ملاً...، ولا تقصر به الغفلة^(٨) عن إيراد مكاتبات عمالك عليك وإصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطي منك ولا يضعف عقداً اعتقده لك ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك^(٩) ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور

(١) إذا شكوا ثقل المضروب من مال الخراج أو نزول علة سماوية بزرعهم أضرت بشمراته أو انقطاع شرب بالكسر أي ماء في بلاد تسقي بالأثمار أو انقطاع بالة أي بيل الأرض من ندى ومطر فيما تسقي بالمطر أو إحالة أرض بكسر همزة إحالة أي تحويلها البئر إلى فساد بالنعفن لما اغتمرها أي عمها من الفرق فصارت غمقة كفرحة أي غلب عليها الندى والرطوبة حتى صار البذور فيها غمقاً ككتف أي له رائحة خمة وفساد ونقصت لذلك غلاتهم أو أجحف العطش أي ذهب بمادة الغذاء من الأرض فلم تثبت فعليك عند الشكوى أن تخفف عنهم.

(٢) الصبح السرور بما يرى من حسن عمله في العدل.

(٣) أي متخذاً زيادة قوتهم عماداً لك تستند إليه عند الحاجة وأثم يكونون سنداً بما ذخرت به عندهم من أجمالك أي إراحتك لهم. والثقة منصوب بالعطف على فضل.

(٤) طيبة بكسر الظاء مصدر طاب وهو علة لااحتملوه أي لطيب أنفسهم باحتماله فإن العمران ما دام قائماً ونامياً فكل ما حملت أهله سهل عليهم أن يحتملوا والأعواز الفقر والحاجة.

(٥) لتطلع أنفسهم إلى جمع المال ادخاراً لما بعد زمن الولاية إذا عزلوا.

(٦) ثم انظر الخ انتقال من الكلام في أهل الخراج إلى الكلام في الكتاب جمع كتاب.

(٧) بأجمعهم متعلق بأخص أي ما يكون من رسائلك أو بالشيء من المكائلك للاعتناء وما يشبه ذلك من أسراك فإخصه بمن فاق غيره في جمع الأخلاق الصالحة ولا تبطره أي لا تطفيه الكرامة فيجتري على مخالفتك في حضور ملاً وجماعة من الناس فيضرك ذلك بمنزلك منهم.

(٨) لا تكون غفلته موجبة لتقصيره في اطلاعك على ما يرد من عمالك ولا في إصدار الأجووية عنه على وجه الصواب بل يكون من النباهة والخلد بحيث لا يفوته شيء من ذلك.

(٩) أي يكون خيراً بطرق المعاملات بحيث إذا عقد لك عقداً في أي نوع منها لا يكون ضعيفاً بل يكون محكماً جزيل الفائدة لك وإذا وقعت مع أحد في عقد كان ضرره عليك لا يعجز عن حل ذلك العقد.

فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل، ثم لا يكون اختيارك إياهم على فراستك واستامتك^(١) وحسن الظن منك فإن الرجال يعرفون لفراست الولاية بتصنعهم وحسن خدمتهم^(٢) وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ولكن اختيرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم كان في العامة أنراً وأعرفهم بالأمانة وجهاً فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم^(٣) لا يقهره كبيرها ولا يشئت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغايبت عنه ألزمته^(٤). ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات^(٥) وأوص بجم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله^(٦) والمترفق ببدنه فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلا بما من المباع والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبالك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها^(٧) ولا يجترنون عليها. فإنهم سلم لا تخاف بانقته^(٨) وصلح لا تخشى غائلته وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك. واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً^(٩) واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاية.

فامنع من الاحتكار فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع^(١٠) فمن قارف حكره بعد نهيك إياه^(١١). فنكل به وعاقب في غير إسراف.

- (١) الفراسة بالكسر قوة الظن وحسن النظر في الأمور والاستقامة السكون والثقة أي لا يكون انتخاب الكتاب تابعاً لميلك الخاص.
- (٢) يعرفون للفراست أي يتوصلون إليها لتعرفهم.
- (٣) أي اجعل لرئاسة كل دائرة من دوائر الأعمال رئيساً من الكتاب مقتدرأ على ضبطها لا يقهره عظيم تلك الأعمال ولا يخرج عن ضبطه كثيرها.
- (٤) إذا تغايبت أي تعافلت عن عيب في كتابك كان ذلك العيب لأصقابك.
- (٥) ثم استوص انتقال من الكلام في الكتاب إلى الكلام في التجار والصناعات.
- (٦) المتردد بماله بين البلدان والمترفق المكتسب والمرافق تقدم تفسيرها بالمنافع وحقيقتها وهي المراد هنا ما به يتم الانتفاع كالأدوية والأدوات وما يشبه ذلك.
- (٧) أي ويجلبونها من أمكنة بحيث لا يمكن النمام الناس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق من تلك الأمكنة.
- (٨) فإنهم علة لا استوص وواص والباينة اللداهية. والتجار والصناعات مسالمون لا تخشى منهم داهية العصيان.
- (٩) الضيق عسر المعاملة والشح والبخل. والاحتكار حبس المطعوم ونحوه عن الناس لا يسمحون به إلا بأشنان فاحشة.

(١٠) المبتاع: المشتري.

(١١) قارف أي خالط والحكر بالضم الاحتكار. فمن أتى عمل الاحتكار بعد النهي عنه فنكل به أي أوقع به النكال والعذاب عقوبة له لكن من غير إسراف في العقوبة ولا تجاوز عن حد العدل فيها.

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البوسي
والزمنى^(١) فإن هذه الطبقة قانعا ومعترأ^(٢) واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل
لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد^(٣) فإن للأقصى منهم
مثل الذي للأدنى.

وكل قد استرعيت حقه. فلا يشغلنك عنهم بطر^(٤) فإنك لا تعذر بتضييعك التافه^(٥)
لأحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم^(٦) ولا تصعر خدك لهم وتفقد أمور من لا
يصل إليك منهم ممن تفتحهم العيون^(٧) وتحقره الرجال. ففرغ لأولئك ثققتك^(٨) ومن أهل
الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالأعذار على الله يوم تلقاه^(٩) فإن
هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه.
وتعهد أهل اليتيم^(١٠) وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك
على الولاية ثقيل. والحق كله ثقيل. وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم
ووثقوا بصدق وعد الله لهم.

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً^(١١) تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً
فتواضع فيه لله الذي خلقتك وتتعهد عنهم جندك وأعاونك^(١٢) من أحراسك وشرطك حتى

(١) البوسي بضم أوله شدة الفقر والزمنى بفتح أوله جمع زمان وهو المصاب بالزمانه بفتح الزاي أي العاهة يريد
أرباب العاهات المانعة لهم عن الاكتساب.

(٢) القانع السائل من قنع كمن أي سأل وخضع وذلك وقد تبدل القاف كافاً فيقال كنع والمعتر بتشديد الراء
المتعرض للعطاء بلا سؤال واستحفظك طلب منك حفظه.

(٣) صوافي الإسلام جمع صافية وهي أرض الغنمية وغلاتها ثمراً.

(٤) طغيان بالعمه.

(٥) التافه القليل لا تعتذر بتضييعه إذا حكمت واتقت الكثير المهم.

(٦) لا تشخص: أي لا تصرف همك أي اهتمامك عن ملاحظة شئوهم وصعر خده أماله إعجاباً وكبراً.

(٧) تفتحهم العين تكره أن تنظر إليه احتقاراً.

(٨) فرغ أي اجعل للبحث عنهم أشخاصاً يتفرغون لمعرفة أحوالهم يكونون ممن تنق بهم يخافون الله ويتواضعون
لعظمته لا يأنفون من تعرف حال الفقراء ليرفعوها إليك.

(٩) بالأعذار إلى الله أي بما يقدم لك عدلاً عنده.

(١٠) الأيتام. وذو الرقة في السن المتقدمون فيه.

(١١) لذوي الاحتياجات أي المتظلمين تفرغ فيه بشخصك للنظر في مظالمهم.

(١٢) تأمر بأن يقعد عنهم ولا يتعرض لهم جندك الخ... والأحراس جمع حرس بالتحريك من يحرس الحاكم من
وصول المكروه والشرط بضم ففتح طائفة من أعوان الحاكم وهم المعروفون الآن بالضابطة.

يكلمك متكلمهم غير متتبع^(١٤) فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في غير موطن^(١٥) (لن تقدس أمة^(١٦) لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتبع). ثم احتمل الحرق منهم والعي^(١٧) ونح عنه الضيق والأنف^(١٨) ييسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته وأعط ما أعطيت هنيئاً^(١٩) وأمنع في إجمال وأعذار. ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها. منها إجابة عمالك بما يعي عنه كتابك^(٢٠).

ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تخرج به صدور أعوانك^(٢١) وأمض لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام^(٢٢) وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية.

وليكن في خاصة ما تخلص فيه لله دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص^(٢٣) بالغاً من بدنك ما بلغ وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكون منفراً ولا مضيعاً^(٢٤) فإن في الناس من به العلة وله الحاجة ، وقد سألت الرسول عليه الصلاة والسلام حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم فقال (صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً).

وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من

(١٣) النعمة في الكلام التردد فيه من عجز وعي والمراد غير خائف تعبيراً باللازم.

(١٤) أي في مواطن كثيرة.

(١٥) القديس: التطهير أي لا يظهر الله أمة الخ...

(١٦) الحرق بالضم العنف ضد الرفق والعي بالكسر العجز عن النطق أي لا تضجر من هذا ولا تفضب لذلك.

(١) الضيق ضيق الصدر بسوء الخلق والأنف محرمة الاستكاف والاستكبار. وأكناف الرحمة أطرافها.

(٢) سهلاً لا تخشنه باستكثاره والمن به وإذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر.

(٣) يعي: يعجز.

(٤) حرج يخرج من باب تعب ضاق. والأعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات ويمحون المحاطلة في قضائها استجاباً للمنفعة أو إظهاراً للجبروت.

(٥) أجزلها أعظمها.

(٦) غير مثلوم أي غير مخدوش بشيء من التقصير ولا محزوق بالرياء وبالغاً حال بعد الأحوال السابقة أي وإن بلغ من أتعاب بدنك أي مبلغ.

(٧) التنفير بالتطويل. والتضيق بالنقص في الأركان. والمطلوب التوسط.

الأمور وليست على الحق سمات^(٨) تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وإنما أنت أحد رجلين.

إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق فقيم احتجابك^(٩) من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه. أو مبتلى بالمنع فما أسع كف الناس عن مسألتك إذا يسوا من ذلك^(١٠) مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة^(١١) أو طلب إنصاف في معاملة.

ثم للوالي خاصة وبطانة فيهم استثثار وتطاول وقلة إنصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال^(١٢) ولا تقطن لأحد من حاشيتك وحاميتك قطيعة^(١٣) ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهناً ذلك المم دونك^(١٤) وعيه عليك في الدنيا والآخرة.

وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابراً ومحتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يتحمل عليك منه فإن مغبة ذلك محمودة^(١٥).

وإن ظنت الرعية بك حيفاً فاصحر لهم بعذر^(١٦) واعدل عنك ظنوتهم بأصحارك فإن في ذلك رياضةً منك لنفسك ورفقاً برعيتك وأعداراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.

(٨) سمات جمع سمة بكسر ففتح العلامة أي ليس للحق علامات ظاهرة يميز بها الصدق من الكذب وإنما يعرف ذلك بالامتحان ولا يكون بالمخالطة.

(٩) فلاي سبب تحتجب عن الناس في أداء حقهم أو في عمل تمنحه إياهم.

(١٠) البذل العطاء فإن قنط الناس من قضاء مطالبهم منك أسرعوا إلى البعد عنك فلا حاجة للاحتجاب.

(١١) شكاة بالفتح شكاية.

(١٢) فاحسم أي اقطع مادة ضرورهم عن الناس بقطع أسباب تعديهم إنما يكون الأخذ على أيديهم ومنعهم من التصرف في شئون العامة.

(١٣) الإقطاع المنحة من الأرض. والقطيعة الممنوح منها. والحامة كالطامة الخاصة والقرابة. والاعتقاد الامتلاك. والعقدة بالضم الضيقة. واعتقاد الضيقة اقتناؤها. وإذا اقتنوا ضيقة فرما أضروا بمن يليها أي يقرب منها من الناس في شرب بالكسر وهو كالنصيب في الماء.

(١٤) مهنة. منفعة الهينة.

(١٥) المغبة كمحبة العاقبة والزام الحق لمن لزمهم وإن ثقل على الوالي وعليهم فهو عمود العاقبة بحفظ الدولة في الدنيا ونيل السعادة في الآخرة.

(١٦) وإن فعلت فعلاً ظنت الرعية أن فيه حيفاً أي ظلماً فاصحر أي أبرز لهم وبين عذرك فيه. وعدل عنه كذا نحوه عنه والأصحاح الظهور من اصحر إذا برز في الصحراء. ورياسة تعويداً لنفسك على العدل. والأعدار بتقديم العذر أو إبدائه.

ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك والله فيه رضي فإن في الصلح دعة لجنودك^(١) وراحة من همومك وأمناً لبلادك.

ولكن الخذر كل الخذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل^(٢) فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن. وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة^(٣) فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة. دون ما أعطيت^(٤) فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً

مع فرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالمعهود^(٥) وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمون^(٦)....،،،،

لما استولوا من عواقب الغدر^(٧) فلا تغدرن بدمتك ولا تخيسن بعهدك^(٨) ولا تختلن عدوك. فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أمضاه بين العباد برحمته^(٩) وحرماً يسكنون إلى منعه ويستفيضون إلى جواره^(١٠) فلا أدغال ولا مدالسة^(١١) ولا خداع فيه. ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل^(١٢) ولا تعولن على لحن قول بعد

(٧) الدعة محرقة الراحه.

(٨) قارب أي تقرب منك بالصلح ليلقي عليك غفلة عنه فيغدرك فيها.

(٩) أصل معنى الذمة وجدان مودع في جلة الإنسان يبيه لرعاية حق ذي الحقوق عليه ويدفعه لأداء ما يجب عليه منها ثم أطلقت على معنى العهد وجعل العهد لباساً لمشايعته له في الوقاية من الضرر. وحاطه حفظه.

(١٠) اللجنة بالضم الوقاية أي حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك.

(١١) الناس مبتدأ وأشد خبر والجملة خبر ليس يعني أن الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله أشد من اجتماعهم على تعظيم الوفاء بالمعهود مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم حتى أن المشركين التزموا الوفاء فيما بينهم فأولى أن يلتزمه المسلمون.

(١٢) أي حال كونهم دون المسلمين في الأخلاق والعقائد.

(١٣) لأنهم وجدوا عواقب الغدر ويلة أي مهلكة وما والفعل بعدها في تأويل مصدر أي استيألمهم.

(١٤) خاس بعهده خان ولقضه والختل الخداع.

(١٥) الأمن الأمان وأفضاه هنا بمعنى أفضاه وأصله المزيد من فضا فضوا من باب قعد أي اتسع فالرباعي بمعنى وسعه والسعة مجازية يراد بها الإفضاء والانتشار والحرم ما حرم عليك أن تمسه والمنعة بالتحريك ما تمتنع به من القوة.

(١٦) يستفيضون أي يفرغون إليه بسرعة.

(١٧) الإدغال الإفساد والمدالسة الخيانة.

(١٨) العلل جمع علة وهي في العقد والكلام بمعنى ما يصرفه عن وجهه ويؤوله إلى غير المراد وذلك يظراً على الكلام عند إبهامه وعدم صراحته ولحن القول ما يقبل التوجيه كالتورية والتعريض فإذا تعلل بهذا المعاهد لك وطلب شيئاً لا يوافق ما أكدته وأخلت عليه المشاق فلا تعول عليه وكذلك لو رأيت لقلماً من التزام العهد فلا تتركه إلى لحن القول لتصلص منه فخذ بأصرح الوجوه لك وعليك.

التأكيد والتوثيق ، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبه^(٩) فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك، إياك والدماء وسفكها بغير حلها فإنه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة.

فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قوة البدن^(١٠). وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك^(١١) أو سيفك أو يدك بعقوبة فإن في الوكرة فما فوقها مقتلة، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم. وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء^(١٢) فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين. وإياك والمن على رعيتك بإحسانك أو التزبد فيما كان من فعلك^(١٣) أو أن تعدهم فتبع موعدك بخلفك فإن المن يبطل الإحسان والتزبد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس^(١٤) قال الله تعالى (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) "الصف: ٣".

(١٠) وإن تحيط عطف على تبعة وتخاف أن توجه عليك من الله مطالبة بحقه في الوفاء الذي غدرته وبأخذ الطلب بجميع أطرافك فلا يمكنك التخلص منه ويصعب عليك أن تسأل الله أن يقلبك من هذه المطالبة بعفو عنك في دنيا أو آخرة بعد ما تجرأت على عهده بالنقض.

(١١) القود بالتحريك القصاص وإضافته للبدن لأنه يقع عليه.

(١٢) أفرط عليك عجل بما لم تكن تريده. أرد تأديباً فأعقب قتلاً وقوله فإن في الوكرة تعليل لإفراط. والوكرة فتحة فسكون الضربة يجمع الكف بضم الجيم أي قبضته وهي المعروفة بالكلمة وقوله فلا تطمحن أي لا يرتفعن بك كبرياء السلطان عن تأدية الدية إليهم في القتل الخطأ جواب الشرط.

(١٣) الإطراء المبالغة في الثناء والفرصة بالضم حادثة يمكنك لو سمعت من الوصول لمصدق والعجب في الإنسان من أشد الفرص لتمكين الشيطان من قصده وهو محق الإحسان بما يتبعه من العرور والتعالي بالفعل على من وصل إليه أثره.

(١٤) التزبد كالنقيد إظهار الزيادة في الأعمال عن الواقع منها في معرض الافتخار.

(١٥) المقت الغضب والسخط.

وإياك والعجلة بالأمر قبل أوامها أو التسقط فيها عند إمكانها^(٤) أو اللجاجة فيها إذا تنكرت^(٥) أو الوهن عنها إذا استوضحت. فضع كل أمر موضعه وأوقع كل أمر موقعه.

وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة^(٦) والتغابي عما يعني به مما قد وضح للعيون فإنه مأخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم.

أملك حمية أنفك^(٧) وسورة جدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة^(٨) وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك.

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو فريضة في كتاب الله عز وجل، فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها^(٩) وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسك عليك؛ لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها.

وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة^(١) أن يوفقي وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه^(٢) مع حسن الثناء في العباد وجميل الأثر في البلاد وتقام النعمة وتضعيف الكرامة^(٣) وأن يحتم لي ولك بالسعادة والشهادة إنا إليه

(٤) التسقط من قولهم تسقط في الخبر يتسقط إذا أخذه قليلاً يريد به هنا التهوان وفي نسخة التناقص بمد السين من ساقط الفرم عدوه إذا جاء مسترخياً.

(٥) تنكرت لم يعرف وجه الصواب فيها واللجاجة الإصرار على منازعة الأمر ليم على عسر فيه والوهن الضعف.

(٦) احذر أن تخص نفسك بشيء تزيد به عن الناس وهو ما تجب فيه المساواة من الحقوق العامة والتغابي التغافل وما يعني به مبني للمجهول أي يهتم به.

(٧) يقال فلان حمى الأنف إذا كان أياً يأنف الضيم أي أملك نفسك عند الغضب، والسورة بفتح السين وسكون الواو، والحدة بالفتح الباس والغرب بفتح فسكون الحدة تشبيهاً له بمد السيِّف ونحوه.

(٨) البادرة ما يبدر من اللسان عند الغضب من سباب ونحوه. وإطلاق اللسان يزيد الغضب اتقاداً والسكوت يظفيء من هبه.

(٩) ضمير فيها يعود إلى جميع ما تقدم أي تذكر كل ذلك واعمل فيه مثل ما رأيتنا نعمل واحذر التأويل حسب الهوى.

(١) على متعلقة بقدره.

(٢) يريد من العذر الواضح العدل، فإنه عذر لك عند من قضيت عليه، وعذر عند الله فيمن أجريت عليه عقوبة أو حرمة من منفعة.

(٣) أي زيادة الكرامة أضعافاً.

راغبون. والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً والسلام.

دراسة تحليلية للحقوق التي وردت بالوثيقة

أولاً: الحق في أن يُحكم الإنسان بشريعة الله

وهو من الحقوق التي لا تقرها المواثيق الحديثة لحقوق الإنسان لأنها جميعاً تستبعد أحكام السماء وتجعل مرجعيتها ما تراه نافعاً للبشر، وصالحاً لهم، لكن لأن المنهج الإسلامي مختلف، والمرجعية الأساسية في الحكم هي الله ولأحكام الشريعة، فإن هذا الحق يُعد أحد الحقوق الرئيسية للإنسان الذي يجب عدم التفريط فيه على الإطلاق، وهو يحقق الآتي:

- ١- عدم تسلط الحاكم فرداً أو هيئة أو جماعة، كذا فهو لا يسمح للسلطة التشريعية بإصدار تشريعات تحقق مصالح فئة على فئة أو تغلب إرادة جماعة على جماعة.
- ٢- وكنسجة لذلك تقوم بضبط مقررات الحكام والهيئات وإخضاعها للمعايير التي نزلت من السماء لحكم الأرض.
- ٣- ولكي يجبر الحاكم على التراجع عن كل ما يخالف أحكام الله، فإن هيئة قضائية كالحكمة الدستورية العليا في مصر - على سبيل المثال - يمكنها أن تلغي كل قانون أو لائحة أو قرار يثبت لديها عدم دستوريته، والدستورية تعني التطابق بين أحكام الشريعة وبين القانون أو القرار، وهو الأمر القائم كما قلت في مصر وفي بعض الدول الإسلامية الأخرى التي يعتبر دستورها الشريعة الإسلامية هي المرجعية لسلامة العمل القانوني، وبالتالي ألغت الكثير من القوانين التي تخالف الشريعة.

ولنرجع لوصايا علي -رضي الله عنه- للأشتر النخعي بهذا الخصوص:

- ١- أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعته.
- ٢- وأمره بأن يرد إلى الله ورسوله ما يضلعه من الخطوب، مما يشتهه عليه من الأمور اتباعاً لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه والرد إلى الرسول، الأخذ بسننه الجامعة غير المفرقة.

٣- وبالنسبة لضمانة تطبيق العدل والحكم بما أنزل الله أمره باختيار ((أفضل رعيته للحكم بين الناس ممن لا يضيق به الأمور، ولا تمحكه - أي يغضبه - الخصوم ، ولا يتمادى في الزلة ، ولا يصير من ألقى إلى الحق إذا عرفه - بمعنى لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق.. ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه - أي لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم دون أن يأتي على أقصى فهم بعد التأمل والتحقق في الأمور)). وتمضي الرسالة تتكلم عن الشروط الواجب توافرها في القضاة فتقول: ((وأخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشف الأمور ، وأصرحهم عن اتضاح الحكم ممن لا يزدديه إطرأ ، ولا يستمليه إغراء)).

٤- أما واجبات الوالي - أو الدولة الآن ، وما ينبغي أن تقدمه للقضاة فتلخصها الرسالة بقولها: (أكثر تعهد قضاة - أي تتبعه بالاستكشاف والتعرف والتأكد من سلامة الأحكام ومن توافر الشروط السابقة بالقضاة، ويوصيه بأن يقسم لهم في البذل ما يكفي لإزالة علته - أي أكثر له المكافأة والأجر حتى يكون ما يأخذه يكفيه في المعيشة وفي حفظ المنزلة - وتقل معه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك مالا يطمح فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك ، فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإن هذا البدين كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدنيا).

ثانياً: حق الإنسان في أن يحكم بالعدل

تعتبر العدالة إحدى القيم الرئيسية التي يجب أن تحققها للناس أية حكومة ناجحة، ولا يمكن أن يكون هناك حكم ناجح إلا إذا كان عادلاً والعدل - كما هو سائر بين العرب - هو أساس الملك. وتشيع في رسالة علي رضي الله عنه أفكار العدالة وضرورة تحقيقها في أكثر من موضع.

لذا العدل يعد أحد أهم الحقوق التي وردت في هذه الرسالة.

ونجد الإمام علي بنه الأشتر في بداية الرسالة إلى أنه سيحكم مصر ، وهي بلد كبير سبق أن حكمها قبله حضارات وأمم سابقة يجب التنبه إلى كيف ساسوا هذه البلاد ليعتبر بتجربتهم ويحكم بخيرتهم وبالذات في مسائل العدل والإنصاف. ويقول الخطاب:

((اعلم يا مالك أي وقد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل و جور ، وأن الناس ينتظرون من أمورك في مثل ما كنت فيه من أمور الولاية قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول

فيهم ، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح ، فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت... ، ويعني ذلك أن الشح بالنفس ليس إبقائها كل ما تحب بل من الحرص عليها أن تحمل على ما تكره إن كان ذلك من الحق فرب محبوب يعقب هلاكاً ، ومكروه يحمد عاقبة ((.

ونجده بعد ذلك يخاطبه على النحو الآتي: ((أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعبتك ، فإنك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خصمه الله أدهض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من ظل على ظلم فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد ((.

((وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية ((.

ونجد في هذا الكتاب بلورة لحق لا يتحقق بسهولة الآن ، وهو الحق في الشكوى وتفرغ ولي الأمر لإقامة العدالة بين الناس بنفسه ، وبشكل سريع لا تؤخر فيه عمل اليوم إلى الغد وهذه عبارة الخطاب ((واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعده عنهم جندك وأعوانك ، من حراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتبع فإني، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يقول: "لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتبع". ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح الضيق والأنف يسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب طاعته وأعط ما أعطيت هنيئاً وامنع في إجمال وإعذار ((.

((ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها. منها إجابة عمالك بما يعي عنه كتابك ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تخرج به صدور أعوانك ، وأمض لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيا النية وسلمت منها الرعية ((.

ومن أسس العدالة ، المساواة بين الناس ، والإحسان إلى المحسن ، والإساءة إلى المسيء وأخذه بذنبه لذا يبه على الأشر إلى أنه ((لا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإن في ذلك ترهيداً لأهل الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة ، وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه ((.

ويقول الإمام محمد عبده في شرح هذه الفقرة أن المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب، والمحسن ألزم نفسه استحقاق الكرامة.

ومن وجوه العدالة التي نبه إليها الكتاب كذلك، حسن ظن الحاكم برعيته حتى تسود الثقة بينه وبينهم وعدم تكليفهم إلا بمقدورهم عملاً بقوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} البقرة ٢٨٦.

لذا نستطيع أن نستخلص حقاً من حقوق الإنسان لا نتحدث عنه الوثائق الحديثة هو حقه في ألا يكلف إلا بما يقدر عليه.

ويعتبر هذا الحق أساساً من أسس العدالة وتطبيقاً لهدف مهم من أهداف الشريعة الإسلامية وهو رفع الحرج والتيسير على الناس. وننقل هنا عبارات الإمام علي كرم الله وجهه: ((واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته ومن إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عنهم ، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم. فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيته ، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً ، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده ، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده).

ثالثاً: حق الإنسان في اختيار عناصر صالحة لحكمه

يضع الإمام علي خبرته في الناس لواليه على بلد مهم كمصر، ويُعطيه خصائص من يتولى مشورته فيستبعد هؤلاء من المشورة: (لا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشر بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله).

ومن يجب استبعادهم كذلك ((إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ومن شاركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة ، فإنهم أعوان الأئمة وإخوان الظلمة)) . وعلى العكس فإنه يجب أن يستعمل بدلاً منهم (من له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه أولئك أخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفاً وأقل لغيرك إلفاً).

* أما الصفات التي يجب أن يتحلى بها خاصة الإمام وأهل مشورته فهي:

١ - من الذي يقول لك الحق ولو كان مرًا. ((ليكن آثرهم عندك أقولهم بحر الحق لك)).

٢ - من لا يساعدك على ما تهوى مما يكره الله. ((وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأولئك واقعاً من هواك حيث وقع)).

٣ - أن يكون من أهل الورع والصدق. ((وألصق بأهل الورع والصدق)).

٤ - ضرورة منع المقربين من إطرء الوالي:

((رضهم على ألا يطروك، ولا يجحوك، ولا يجحوك - أي يفرحوك بنسبة عمل عظيم إليك لم تكن فعلته -

بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطرء تحدث الزهو وتدني من العزة)).

ويكمل هذا الحق ضرورة مراقبة الحاكم للموظفين حتى لا يسئوا معاملة الناس، وواجهه في أن يكون قريباً من الناس، يعرف مشاكلهم، ويتولى بنفسه إنصاف المظلوم، يقول الخطاب:

((وأما بعد فلا تطولن احتجاجك عن رعيتك فإن احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور، والاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتججوا دونه فيصغر الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويمس القبيح ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور. وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وإنما أنت أحد رجلين، إما امرؤ سخطت نفسك بالبذل في الحق فقيم احتجاجك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه، أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا ينسوا من ذلك، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة)).

ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم استثنا وتناول وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطن لأحد من حاشيتك وحاميتك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون متونته على علم غيرهم، فيكون مهناً ذلك لهم دونك، وعيه عليك في الدنيا والآخرة)).

رابعاً: الحق في الحياة

شدد الخطاب على احترام الحق في الحياة، وحذر الوالي في أن يتم التعدي على هذا الحق، أو يتهاون في معاقبة من يسابه من أحد من الناس يقول: ((إياك والدماء وسفكها بغير حلها فإنه ليس

شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أخرى بزوال نعمه وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه وتعالى مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة.

فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإن ذلك يضعفه ويوهنه بل ويزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قوة البدن)).

وإذا كان القتل على سبيل الخطأ ، أو إذا كان ضرباً أفضى إلا موت من قبل الوالي نفسه ، فإن القتال يلتزم بدفع الدية إلى أولياء المقتول ((وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم)).

خامساً: الحق في الخصوصية

نصت المواثيق الحديثة لحقوق الإنسان على حق الإنسان في الخصوصية، من ذلك ما ورد في العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية من أنه لا يجوز تعريض أي شخص على نحو تعسفي أو غير قانوني للتدخل في خصوصياته أو شتونه أسرته أو بيته أو مراسلاته ولا لأي حملات غير قانونية تمس شرفه أو سمعته (المادة ١٧).

أما عبارة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقد وردت على النحو الآتي:

((ليكن أبعد رعيتك منك وأشأنهم عندك أطلبهم لمعائب الناس فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك)).

سادساً: حق العامل في أجره يكفيه

وهو من حقوق الإنسان الآن، ويرتبط تماماً بالحق في العمل، والحق في أجره يكفي الحاجة، وخطاب الإمام علي ينبه إلى أهمية هذا الحق، وإلى ضرورة أن يعطي الوالي لمن يقومون على أمر الناس حقهم من بيت المال. يقول الكتاب:

((واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة

السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة ، وكلاً قد سمي الله سهمه ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآله عهداً منه عندنا محفوظاً)).

((فالجنود ياذن الله حصون الرعية وزين الولاية وعز الدين وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاهد ، ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور و عوامها. ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجمعون عليه من مرافقهم ، وقيمونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم)).

سابعا: الحق في الضمان الاجتماعي

كذلك يُولي كتاب الإمام الطبقة الضعيفة عناية خاصة ويوجب أن يعطوا ما يكفيهم من بيت المال حيث لكل فئة حقوق فيه وهذه هي عبارة الخطاب: ((ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم ، وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما أزره الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل)).

فهذا هو الحق في الضمان الاجتماعي يجب على الوالي أن يعطيه للفقراء والمحتاجين ، فهو إذاً ليس حقاً مستحدثاً وإنما له أصل في الإسلام منذ وقت طويل.

((ثم الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البوسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترأ ، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد ، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى ، وكل قد استرعت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييعك النافه ، لإحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك لهم وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تفتحهم العيون وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالأعذار إلى الله يوم تلقاه ، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه، وتعهد أهل اليتيم، وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاية ثقيل. والحق كله ثقيل، وقد يخفف الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم)).

ثامناً: الحق في الوفاء بالعهد

وهو حق أساسي من حقوق الإنسان ، ولكنه يظهر أكثر في التعامل مع الأعداء ، ويقول الكتاب: ((ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك والله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل ، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة ، فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب الغدر ، فلا تغدروا بدمتكم ولا تخيبن بهدك ، ولا تحتلن عدوك. فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته ، وحرماً إلى منعه ويستفيضون إلى جواره فلا أدغال ولا مدالسة ، ولا خداع فيه. ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثيق ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته ، خير من غدر تخاف تبعته وإن تحيط بك من الله فيه طلبه ، فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك)) .

* خاتمة

وهكذا حاولنا أن نستخلص ما ورد في الرسالة من الحقوق، ولكن الرسالة في الواقع من أبلغ الوثائق معنى ولفظاً ويجب أن تدرس هي وغيرها ويركز على ما فيها من قواعد ومبادئ أخرى لا تتصل بالضرورة بحقوق الإنسان وحرياته ، وإنما تتصل بدستور العلاقة بين الحاكم والمحكوم بشكل عام ، وهي تتناول فنوناً واضحة للتعامل تنبع من تعاليم الإسلام وأسه ويدخل غالبها في باب السياسة الشرعية. ونود التركيز على أن أهم ضمان للحقوق هو تقوى الله سبحانه وتعالى والإحساس بأنه يراقبنا في السر والعلن ، وتقوية المحكومين بالثقة فيهم بشريعة الله سبحانه وتعالى. وقد ورد بالوثيقة العديد من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية بالمفهوم الحديث ، تعرضنا لبعضها وهو الحق في العمل والأجر العادل ، وفي حد من الدخل تكفله الدولة لمن يحتاج إليه ، لكن الوثيقة متضمنة لحقوق أخرى كثيرة ، إنني أكتفي الآن باب مهم لدراسات لوثائق مهمة موجودة بكثرة في تاريخنا وتحتاج إلى كثير من الصبر للكشف عن معانيها وبيان ما فيها من أحكام تفصل الجمل من

أحكام الكتاب والسنة. وترينا كيف فهم القادة والأئمة والعلماء هذه النصوص ، وكيف قاموا بتطبيقها في حياة الأمة الإسلامية.

إننا نحتاج إلى الكشف عن كنوزنا واستخدام بضاعتنا بدلاً من الجري وراء غيرنا ، واستخدام معايير حياتنا تختلف عن الأصالة التي نجدها في تاريخنا وتراثنا.

وبعد ، فالله نرجو أن يوفقنا ويسدد خطانا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.